مصادر القرنين الأول والثانى للميلاد

حول مناطق إنتاج وتصدير اللبان العربى « رؤية نقدية »

أ. د. محمد السيد محمد عبد الغنى(*)

إن الحديث عن مناطق إنتاج وتصدير الطيوب والتوابل العربية من لبان ومُرّ وطيوب وقصيعة وقرفة وغيرها ، حديث شائع فى المصادر الكلاسيكية اليونانية من هيرودوت فى القرن الخامس ق. م. حتى أجاثا رخيديس فى القرن الثانى ق. م.

ومن خلال هذا التتابع التاريخى يأتى ذكر عرب شبه الجزيرة - لا سيما عرب جنوب شبه الجزيرة العربية - فى المصادر الكلاسيكية ونحاول نحن أن نتتبع ما ذكر عنهم فى كل مرحلة بدءاً بالقرن الخامس حتى القرن الثانى ق. م. ففى القرن الخامس يركز هيرودوت على إنتاج مناطق جنوب الجزيرة لكافة أنواع الطيوب من لبان ومر وقصيعة وقرفة ولادن ، وإن لمح إلى أن القصيعة والقرفة ربما كانتا تنتجان فى بلاد أخرى (حيث تربى ديونيسوس) ويقصد بها بلاد الهند . كذلك ركز على أن غابات الطيوب كانت تحرسها ثعابين مجنحة تطرد برائحة العبهر المحروق . وذكر أن الفنيقيين كانوا يقومون بالوساطة التجارية فى نقل طيوب جنوب الجزيرة العربية إلى بقية الشعوب(١) . وفى القرن الرابع يحدد ثيوفراستوس قبائل عرب الجنوب التى تتحكم فى إنتاج وتجارة نفس أنواع الطيوب التى ذكرها هيرودوت ، مع إبراز سيادة وتفوق السبئيين على وجه الخصوص ، كما أشار إلى عدم وجود حراسة على غابات الطيوب ، مما حدا ببعض البحارة الأجانب الطامعين إلى سرقة كميات منها .كذلك ركز على الدور الهام الذى يقوم به كهنة إله الشمس فى تسيير دفة تجارة الطيوب والحصول على ثلث هذه الطيوب المباعة وتخصيصه لإله الشمس مما يوحى بنوع من الاحتكار لهذه التجارة

(*) أستاذ التاريخ اليونانى الرومانى - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

من قبل المعابد . وأشار إلى حكم عرب الجنوب لبعض الجزر المجاورة المنتجة للطيوب والتوابل(٢) (ربما كان يقصد المناطق الساحلية المجاورة في شرق أفريقيا). وفى القرن الثالث ق.م. نجد إراتوسثنيس يقسم قبائل العرب الرئيسية فى الجنوب ، وموقع كل منها، وعاصمة كل إقليم (معين وعاصمتها كارنا ، وسبأ وعاصمتها مأرب ، وقتبان وعاصمتها تمنا أو تمنع ، وحضر موت وعاصمتها شبوة) ، ونظام الحكم الملكى فيها ، وما تتمتع به من رفاهية وثروات . وركز على تخصيص مناطق لإنتاج طيوب بعينها ، فذكر أن قتبان تنتج اللبان فى حين تنتج حضر موت المر ، وقيامهم بمقايضة هذه الطيوب - وطيوب أخرى غيرها - مع التجار(٣) . أما من القرن الثانى ق. م. فنجد أجاثار خيديس - كما أورده ديودوروس الصقلى - لا يذكر من قبائل عرب الجنوب سوى السبئيين دون سواهم (ربما كانوا يتمتعون فى عصره بالسيادة على بقية عرب الجنوب كما ألمح ثيوفر استوس فى القرن الرابع)، ويسهب فى وصف ما لديهم من غابات الطيوب من كافة الأنواع، بأريجها الفواح على الساحل ، وفى الداخل . ويصف الثعابين الضخمة التى تحرسها مثلما ذكر هيرودوت . كما يسهب فى وصف الثراء والبذخ الأسطورى الذى تمتعت به سبأ وتدفق كميات الذهب والفضة عليها من تجارة الطيوب ، واستخدامهم لتلك المعادن النفيسة فى رياشهم وأدواتهم المنزلية(٤) .

هذه الكتابات المبكرة للمؤرخين الجغرافيين الكلاسيكيين اتسمت - رغم ما تحويه من معلومات قيمة عن عرب الجنوب - بسمتين قللتا نسبياً من أهمية المعلومات المستقاة عنهم : ألا وهما التعميم فى بعض الأحيان ، والخلط وعدم الدقة فى أحيان أخرى. فمن ناحية التعميم نجد هؤلاء الكتاب ينسبون إلى مناطق جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة إنتاج كافة أنواع البخور والطيوب المذكورة . أما من تفادى منهم هذا الخطأ ومال إلى التحديد فإنه غالباً ما يقع فى الخطأ الأخر وهو الخلط وعدم الدقة فى المعلومات . وربما ذكر معلومات عكسية تماماً مثل تخصيص اراتوسثنيس - على لسان سترابون - لقتبان فى إنتاج اللبان وحضر موت فى إنتاج المر .

هذا التعميم أو الخلط لمناطق إنتاج وتصدير الطيوب العربية فى المصادر الكلاسيكية فى الفترة من القرن الخامس إلى القرن الثانى ق. م. بحاجة إلى دراسة متأنية للمصادر والوثائق ، للوصول إلى قدر أكبر من التحديد حول هذه الجزئية . وسيحاول الباحث فى هذا البحث القيام بهذه المهمة بخصوص إنتاج وتصدير أحد أهم طيوب مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية ، وهو اللبان . ومن حسن الحظ أن مصادر القرنين الأول والثانى للميلاد تزودنا بمعارف أكثر تحديدا ودقة حول مناطق إنتاج وتصدير هذه السلعة الهامة من سلع عرب الجنوب ، ومن أبرز تلك المصادر المتاحة من الفترة المعنية كتاب « الطواف حول البحر الاريترى » لمؤلف مجهول ، وهو على الأرجح أحد تجار أو ملاحى الإسكندرية فى مصر فى القرن الأول الميلادى ، ممن كانوا يجوبون البحار الشرقية فى جنوب بلاد العرب وشرق أفريقيا وبلاد الهند . وأراد من كتابه هذا أن يكون دليلاً للتجار والملاحين المصريين فى تلك المناطق . وكذلك من مصادر تلك الفترة حول هذه النقطة مقتطفات هامة من مؤلف « التاريخ الطبيعى » لبلينى الأكبر من القرن الأول كذلك . أما فى القرن الثانى فإن هناك وصفاً جغرافياً قريباً من الدقة لمناطق جنوب الجزيرة العربية يتمثل فى المواضع المعنية بتلك المنطقة من كتاب « الجغرافيا » لبطلميوس الجغرافى. لكن المشكلة الحقيقية التى يعالجها هذا البحث هى أن هناك بعض التفسيرات الحديثة غير صحيحة حينا ، وغير دقيقة أحياناً ، أوردها بعض الباحثين ممن أدلوا بدلوهم فى الموضوع ، مما أدى إلى فهم غير دقيق لبعض محتويات هذه المصادر فى هذا الشأن . لذا سيحاول الباحث فى الصفحات التالية أن يورد تلك الفقرات والمقتطفات الجدلية الخلافية من المصادر المذكورة أعلاه ، وتلك التفسيرات الحديثة لها من قبل بعض العلماء والباحثين الذين لا يتفق الباحث مع تفسيراتهم ويعتبرها غير صحيحة أو غير دقيقة . وأخيراً آراء وتفسيرات الباحث نفسه التى يعتبرها أكثر دقة وأقرب إلى الصواب ، وتبريرات ذلك . ثم يدعم الباحث تفسيراته بمجموعة من النقوش بالخط المسند حول إقامة مدينة تدعى « سمارام » لتصدير لبان منطقة ساكلان فى جنوب الجزيرة العربية فى عمان الحالية (من القرن الأول

ق. م.) ليثبت أن « سمارام » فى نقوش الخط المسند هـى « موسـخا » التـى ورد ذكرها عند « الطواف » و « بطليمـوس الجغرافـى » ، وأن سـاكلان فـى نقـوش المسند هى منطقة « ساخاليتيس » فى المصدرين المذكورين المكتوبين باليونانية مـن فترة لاحقة فى القرنين الأول والثانى للميلاد .

والأن لنبدأ فى ذكر ما ورد فى المصادر المكتوبة باليونانية حول مناطق إنتاج وتصدير اللبان العربى فى مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية :

ففى مؤلف « الطواف » يرد ما يلى :

- على بعد نحو ألفى ستاديون إلى الشرق من ميناء العربية السعيدة (عدن) « يقع ميناء تجارى آخر على الساحل (الجنوبى للجزيرة العربية) هـو كـانى (قانـا) وهو يتبع مملكة إلياذوس الأرض المنتجة للبـان ... وفيمـا وراء « كـانى » تقـع العاصمة ساوباثا (شبوة) فى الداخل ، وهى مقر إقامة الملك كذلـك . وكـل ما ينتج فى المنطقة من لبان يؤتى به إليها حيث كانت بمثابة مسـتودع ، وذلـك عـن طريـق الإبـل والقـوارب المحليـة الصغـيرة المصنوعـة مـن الأكيـاس الجلديـة والسفن(٥) .

- وبعد « كانى » تنحسر أرض الشاطى أكثر فأكثر ، يلى ذلك خليـج عميـق جداً يمتد لمسافة طويلة يسمى خليج ساخاليتيس وأرض اللبان ، وهى منطقة جبلية وعرةهواؤها ثقيـل وضبابيـة أسـفل الأشـجار المنتجـة للبـان . ولكـن الأشجار المنتجة للبان هنا ليست ضخمة ولا مرتفعة وهى تفرز اللبان الـذى يتجمد على لحائها كما هى الحال بالنسبة لبعض الأشجار لدينـا فـى مصـر التى تفرز الصمغ . ويقوم على جمع اللبان عبيـد ملكيـون وسـجناء أرسـلوا لقضاء فترة عقوبة(٦) .

- ويقع على هذا الخليج مرتفع هائل وجهته نحو الشرق ويسمى سياجروس (رأس فرتك) به قلعة لحماية المنطقة وميناء ومستودع لتخزين اللبان(٧) .... إلخ .

وبعد سياجروس مباشرة يوجد خليج متد ينبعج بعمق نحو الساحل . وتقع عمان على مسافة ستمائة ستاديون من طرف هذه الخليج ، وبعدها جبال شاهقة صخرية شديدة الانحدار ، حيث يعيش أناس فى كهوف لمسافة خمسمائة ستاديون أخرى . وبعد هذه الأماكن يوجد ميناء مخصص لشحن لبان منطقة ساخاليتيس يسمى ميناء موسخا (خور رورى / على الساحل العمانى) ... وفى مقابل الأقمشة القطنية والحبوب والزيت كان هؤلاء التجار يأخذون من الوكلاء الملكيين لبانا من تشكيلة كلها من منطقة ساخاليتيس »(٨) .

أما بلينى الأكبر فى مؤلفه « التاريخ الطبيعى » فيذكر أنه لم يكن هناك من ينتج اللبان باستثناء العربية (يقصد جنوب الجزيرة العربية) وأن اللبان لم يكن ينمو فى كل مناطقها بل فى الجزء الأوسط من جنوب الجزيرة تقريباً حيث تقع مملكة تسمى Astramitae تابعة (لنفوذ) السبئيين . وعاصمة هذه المملكة هى سابوتا التى تقع على جبل مرتفع ؛ وعلى بعد ثمانية أيام من العاصمة تقع المنطقة المنتجة للبان فى هذه المملكة وتسمى ساريبا ، وهو اسم يعنى بالنسبة للإغريق « السر الغامض »(٩) .

(واضح أن المملكة المقصودة التى تقع فيها مناطق إنتاج اللبان هى «حضرموت» وأن عاصمتها سابوتا هى « شبوة » وأن المنطقة المنتجة للبان هناك والتى يسميها ساديبا تقع شرقى حضر موت فى الأغلب) .

وفى فقرة أخرى يذكر بلينى أنه ليس هناك من بين العرب بخلاف هؤلاء (يقصد الحضارمة) من وقع بصره على شجرة اللبان . ولا يسرى هذا القول على كل (الحضارمة) بل أن عدداً لا يزيد على ثلاثة آلاف أسرة احتفظوا لأنفسهم بهذا الحق الوراثى (زراعة أشجار اللبان ورعايتها وجمع المحصول) . ولذلك كان يطلق عليهم المباركون . وهؤلاء لا يسمح لهم بتدنيس أنفسهم

بجماع النساء أو (السير) فى الجنازات ، عندما يكونون مشغولين بحز وشق تلك الأشجار للحصول على اللبان ، مما يؤدى إلى ارتفاع أسعار اللبان لارتباطها بمفاهيم دينية(١٠) .

وفى موضع آخر يقول بلينى أنه بعد جمع اللبان كان ينقل بالجمال إلى سابوتا (شبوة) وتفتح لذلك إحدى بوابات المدينة . وكان الجنوح عن هذا الطريق (من قبل أصحاب الجمال المحملة باللبان) يعد جريمة كبرى فى عرف الملوك . وهناك (فى شبوة) كان الكهنة يأخذون عشوراً (ضرائب صغيرة) لإله يسمونه سابيس - وهى ضرائب تقدر بالمعيار وليس بالوزن ولا يسمح بعرض البخور فى السوق قبل أداء هذه الضريبة(١١) .

* * *

لنحاول الآن أن نستخلص من المعلومات السابقة الواردة فى المصدرين الطواف وبلينى الأكبر - بعض النتائج المحققة حول مناطق إنتاج اللبان وتخزينه واحتكاره ومناطق توزيعه وتصديره .

يتضح من حديث المصدرين حول إنتاج اللبان أن المنطقة الرئيسية لإنتاج اللبان هى مملكة حضر موت التى كانت عاصمتها شبوة (سيرد الحديث عن امتداد ومناطق نفوذ هذه المملكة نحو الشرق لاحقاً فى هذا الجزء) وأن أقرب منفذ للتصدير البحرى للبان لشبوة هى كانى أو قانا (حصن الغراب حسب تفسير كاسون للطواف) . ويذكر فى « الطواف » أن ملك هذه المملكة (حضر موت) يسمى إليازوس (على الأرجح « العز » ، كما سنرى لاحقاً) . ويتفق المصدران على أن كل لبان المنطقة (المملكة الحضرمية) كان يجمع فى منطقة معينة من المملكة بعد جمع المحصول من على أشجاره . وهذه المنطقة ذكرها بلينى صراحة على أنها العاصمة شبوة (سابوتا) التى كان المحصول ينقل إليها بالجمال، بل زاد من درجة اليقين حول هذه النقطة حين أورد أن ملوك حضر موت كانوا

يعدون أى انحراف عن هذا الطريق (المؤدى لشبوة) من جانب أصحاب الجمال المحملة باللبان جريمة كبرى . أما مؤلف كتاب « الطواف » فيفهم من حديثه أيضاً أن كل محصول اللبان من مملكة إليازوس (حضر موت) كان يذهب إلى ساوباثا (شبوة) العاصمة ، ولكن صياغة العبارة فى « الطواف » جعلت ليونيل كاسون - فى ترجمته للفقرة ٢٧ من الطواف وتعليقه عليها ص ١٦٢ ، ومن قبل فان بيك ، يرون أن منطقة تجميع محصول اللبان هى ميناء كانى(١٢) . (حصن الغراب) ، وهذا خطأ .

فبالإضافة إلى وضوح ومباشرة نص بلينى بخصوص شبوة - كما أسلفنا - فإن الأرجح والأقرب للمنطق أن مؤلف « الطواف » كان يقصدها كذلك فى نصه ، ولنعد إلى النص لنتأكد من مدى دقة هذا الترجيح . فى هذه الفقرة ٢٧ من الطواف يرد الحديث عن ميناء « كانى » الذى يتبع مملكة إليازوس (حضر موت) أرض اللبان ، ويذكر جزيرتين قاحلتين قريبتين من هذا الميناء هما جزيرة الطيور (سيخا) وترويلاس (براقة) الواقعة على بعد مائة وعشرين ستاديون من «كانى» ثم يورد ما يلى :

« وفيما وراءها (يقصد كانى) تقع العاصمة ساوباثا (شبوة) فى الداخل (أى بعيداً عن الساحل) والتى هى كذلك مقر إقامة الملك . وكل ما ينتج فى المنطقة (مملكة إليازوس) (حضر موت) من اللبان يؤتى به إليها (واضح أنه يقصد ساوباثا أى شبوة) إذ كانت بمثابة مستودع ، عن طريق الإبل والقوارب المحلية المصنوعة من الأكياس الجلدية وعن طريق السفن »(١٣) .

إن تفسير كاسون وفان بيك بأن كل محصول اللبان كان ينقل إلى «كانى» غير مقبول للأسباب الآتية :

(أ) أن نص الطواف واضح الدلالة فى إشارته إلى ساوباثا (شبوة) وليس إلى كانى (حصن الغراب) .

(ب) من غير المنطقى أن ينقل « كل ما تنتجه المنطقة (المملكـة) مـن لبـان » إلى ميناء واحد هو « كانى » دون بقية الموانىء والمستودعات الساحلية الأخـرى فى مملكـة حضـر مـوت مثـل سـياجروس (رأس فرتـك) وموسـخا (خـور رورى) . كان يمكن أن يكون تفسير كاسون مقبولاً لو أن المحصول المنقـول كان محصول المنطقة القريبة من كانى (أى محصول جزء من المملكـة) ، أمـا حين يتعلق الأمر بمحصول المملكـة كلهـا فـالأقرب إلى المنطـق أن يذهـب إلى عاصمة المملكة فى شبوة حيث يقيم الملك ، لا سيما فى حالة وجود احتكـار ملكى للسلعة وهو ما تشير القرائن إلى أنه كان موجوداً(١٤) .

(جـ) قد يثور اعتراض على أن مكان تجميع محصول اللبان هو شبوة ، من جهـة أن وسيلة نقل هذا اللبـان كـانت الجمـال والقـوارب الصغـيرة والسـفن ، وهـى وسائل نقل إلى ميناء وليس إلى مكان داخلى مثل شبوة .

وللرد على هذا الاعتراض الأخير نقول أنه إذا صح كلام بلينى من أن شـبوة تبعد مسافة ثمانية أيام عن (أقرب - فيما أتصور) مناطق إنتاج اللبان (إلى الشرق والجنوب الشرقى كما سيتضح) فمعنى هذا أن مناطق إنتاج اللبان (الممتدة لمسافة كبيرة نحو الشرق عل خليج ساخاليتيس الذى سنتحدث عنه لاحقـاً ، وعـن مـدى امتداده والذى ورد ذكره فى فقرات الطواف المقتبسة أعلاه) كانت تبعد مسافات كبيرة عن شبوة كان أقلها حوالى ثمانية أيام . هذا ربما يعنى أن الجمال كانت تنقل اللبان من مناطق إنتاجه القريبة نسـبياً بطريـق الـبر إلى شـبوة مباشـرة . أمـا منـاطق الإنتاج الأبعد نسبياً فربما كان لبانها ينقل بـالبحر بـالقوارب الصغـيرة أو السـفن (حسب المسافة) من أقرب نقطة لمناطق الإنتاج على السـاحل الحضرمـى (سـاحل مملكة حضر موت) إلى أقرب نقطة ساحلية على هذا الشاطىء إلى العاصمة شـبوة فى الداخل . هذه النقطة الساحلية الأقرب إلى شبوة (فى مملكة حضر موت) هى بالتأكيد ميناء كانى (حصن الغراب) الذى كانت تنتقل إليه حمولات اللبـان مـن مناطق الإنتاج . لكن « كانى » لم تكن - فى هذه الحالـة - المحطـة النهائيـة التـى

يقطعها محصول اللبان على القوارب والسفن ، بل كانت المحطة قبل الأخيرة ، إذ كانت الجمال تنقل اللبان الذى تم تفريغه فى « كانى » من الأخيرة إلى شبوة حيث المستودعات الملكية هناك .

هذا التفسير يتفق وما ورد عند بلينى من أن اللبان كان ينقل بالجمال إلى شبوة وأن إحدى بوابات المدينة كانت تفتح لهذا الغرض . وكانت هذه الجمال تنقل اللبان إما من مناطق الإنتاج إلى شبوة مباشرة أو من « كانى » - حيث اللبان الذى أتى إليها بالبحر كما أوضحت - إلى شبوة . وبعد وصول المحصول كله إلى شبوة حيث المستودعات الملكية والموظفون الملكيون المنوط بهم مسألة إدارة الاحتكار الملكى يبدو أنه كان يتم حصر كميات محصول اللبان ومنح حصتها (عشورها) من اللبان التى أشار إليها بلينى ، وبعد ذلك ربما كان المحصول يوزع بطريقة مركزية ومحسوبة من المستودعات الملكية المركزية فى شبوة إلى منافذ وموانئ بيعه وتصديره البرية والبحرية .

وإذا كان بلينى قد أوجز فيما يتصل بمناطق إنتاج اللبان فذكر أنها تبعد مسافة ثمانية أيام من شبوة ، وأن ثلاثة آلاف عائلة قد تخصصت بصورة وراثية فى حصاد أشجار اللبان والعمل فيها وأطلق عليهم المباركون ، فإن « الطواف » قد افاض نسبياً فى الحديث عن مناطق الإنتاج وظروفه وموانئ التخزين والتصدير ، كما رأينا فى الفقرات المقتبسة عنه أعلاه . فقد ذكر هذا المؤلف معلومات عن «خليج ساخاليتيس الذى هو أرض اللبان وعن ميناء ومستودع سياجروس (رأس فرتك) حيث يخزن لبان هذه المنطقة ، وبعدها بحوالى ألف ومائة ستاديون(*) (فى نهاية « خليج عمان » كما أسماه الطواف أو « خليج القمر » الحالى شرق رأس فرتك) يوجد ميناء موسخا (خور رورى قرب صلالة على ساحل ظفار غرب

(*) الـ « ستاديون » وحدة إغريقية قديمة من وحدات قياس الطول تبلغ حوالى ٦٠٧ قدماً انجليزياً أى أقل قليلاً من مائتى متر أو ثمن ميل أو خمس كيلو مترا .

سلطنة عمان) حيث يتم تصدير وتجارة لبان منطقة الساخاليتيس ، بالإضافة إلى ميناء كانى (حصن الغراب) المقابل لشبوة على الساحل الحضرمى الغربى والذى سبق الحديث عنه .

ونأتى الآن للحديث عن « خليج ساخاليتيس » هذا كما ورد عند «الطواف» الذى حدد بدايته من جهة الغرب بأنه ذلك الخليج العميق الذى يعقب أرض الشاطىء المنحسرة بعد ميناء « كانى » (ربما بدءاً من المكلا الحالية على الساحل فى وادى حضر موت) ، ثم يحدد مؤلف « الطواف » - بصفته تاجر وملاحاً - أهم المعالم التجارية على ساحل هذا الخليج الطويل الممتد επὶ πολὺ παρεκτεινων .

فيذكر سياجروس (رأس فرتك) بصفتها مرتفع هائل على هذا الخليج به قلعة لحماية المنطقة وميناء ومستودع لتخزين اللبان ، وبعدها يذكر خليجاً عميقاً منبعجاً فى الساحل هو خليج عمان - حسب تسمية الطواف - تبلغ المسافة بين طرفيه ستمائة ستاديون (خليج القمر الحالى) ومن بعده بخمسمائة ستاديون أخرى (ألف ومائة ستاديون من رأس فرتك) « يوجد ميناء مخصص لشحن لبان منطقة ساخاليتيس ويطلق عليه ميناء موسخا » . وفيما وراء هذا الميناء لمسافة ألف وخمسمائة ستاديون أخرى تقع (فى الداخل) سلسلة جبلية تمتد (نحو الشرق) حتى منطقة تسمى أسيخون يقابلها على الشاطئ سبع جزر يسميها جزر زنوبيوس (جزر كوريا موريا الحالية) وبعدها تمتد بلد أخرى أجنبية لا تنتمى لنفس المملكة أى مملكة إليازوس (حضر موت) بل تنتمى لبلاد الفرس(١٥) .

معنى الكلام السابق أن أقصى الحدود الشرقية لمملكة حضر موت - حسب وصف الطواف - كان المنطقة الداخلية المقابلة لجزر كوريا موريا فى سلطنة عمان الحالية ، وأن منطقة الساخاليتيس كانت تمتد من شرق كانى (حصن الغراب) نحو الشرق حتى ميناء موسخا - على الأقل - الذى كان لبان هذه المنطقة يشحن منه(١٦) ، رغم تسمى المنطقة الساحلية الواقعة قبل « موسخا » بمسمى محلى هو

« خليج عمان » ، بل ربما كانت منطقة الساخاليتيس تمتد أكثر من موسخا (خور روری) نحو الشرق حتى نهاية حدود مملكة اليازوس (مملكة حضر موت) على الساحل وفى الداخل قبالة جزر كوريا موريا .

ولكن يرى بعض العلماء أن بطلميوس الجغرافى والفلكى السكندرى من القرن الثانى الميلادى قد حدد منطقة ساخاليتيس - أرض اللبان - بانها تقع إلى الشرق من سياجروس (رأس فرتك) على العكس من جغرافى سابق له هو مارينوس الذى يرى أن هذه المنطقة تقع إلى الغرب من رأس فرتك(١٧) ، وعلى العكس كذلك من فهم البعض الخاطىء للتحديد الجغرافى للمنطقة من قبل مؤلف « الطواف » على أنها تمتد من شرق « كانى » (حصن الغراب) حتى سياجروس (رأس فرتك) أى إلى الغرب من سياجروس كما وصفها مارينوس(١٨) .

والواقع أن بطلميوس الجغرافى لم يحدد منطقة « الساخاليتيس » بأنها تقع إلى الشرق من سياجروس كما فسره أو فهمه هؤلاء العلماء بطريق الخطأ ، بل أن وصفه الجغرافى لهذه المنطقة يكاد يتطابق مع التحديد الذى أوردناه قبل قليل عند مؤلف « الطواف » . ولكن العلماء الذين قالوا بوجود تناقض واختلاف بين تحديد المصدرين للمنطقة ، لم يقرأوا وصف بطلميوس القراءة الدقيقة والصحيحة فيما اعتقد . صحيح أن بطلميوس صنف مناطق « أرض حضر موت » من الغرب إلى الشرق وجعلها تبدأ بمنطقة تسمى « مدينة أيبيسما Ηβισμα πόλις » وتنتهى فى الشرق بـ « رأس سياجروس εύαγρος ακρα » ، ثم بدأ الفقرة التالية بعد نهاية هذه الفقرة مباشرة - أى بعد الحديث عن « رأس سياجروس » - بالحديث عن إقليم « الساخاليتيين » فى فقرة مستقلة تحدث فيها عن مواقع هذا الإقليم . ومن هنا ربما حدث الخلط الذى ذهب إليه العلماء المشار إليهم فذكروا أن بطلميوس قد أوضح صراحة أن « الساخاليتيس » تقع بعد « سياجروس » .

لكن بنظرة أعمق قليلاً إلى نص بطلميوس ندرك أن الأمر لم يكن كما ذهب هؤلاء العلماء إلى فهمه :

ففى حديث بطلميوس عن « أرض حضر موت » يجعل أول مناطقها من الغرب وهى « مدينة ايبيسما » تقع على خط طول هو ٨٢ وخط عرض $11\frac{3}{4}$، وآخر هذه المناطق وهى « سياجروس » فى الشرق على خط طول ٩٠ وخط عرض ١٤ . أما مواقع إقليم « الساخاليتيين » فتبدأ من الغرب بموقع يسمى « قرية ميتاكون » على خط طول ٨٨ وخط عرض $16\frac{1}{4}$ ، وتنتهى فى الشرق بموقع يسمى « مرتفع كورودابون » الذى يقع على خط طول ٩٣ وخط عرض $20\frac{1}{4}$ (١٩)(٢)(*) .

من هذا التصنيف أعلاه يتضح أن بطلميوس قد أورد أقليم « ساخاليتيس » بعد مواقع « أرض حضر موت » وآخرها سياجروس كنوع من الترتيب الوصفى لمادته ، وليس بحسب الموقع الجغرافى المحدد بخطوط الطول والعرض . فمن خلال ملاحظتنا لمواقع « أرض حضر موت » والواقعة بين خطى طول ٨٢ ، ٩٠ وخطى عرض $11\frac{3}{4}$ ، ١٤ ، ومواقع « الساخالتيين » الواقعة بين خطى طول ٨٨ (أو بالأحرى $87\frac{1}{4}$ ، حيث أورد بعد الموقع الأول موقعين آخرين على خطى طول $87\frac{1}{4}$ ، $87\frac{1}{2}$) ، ٩٣ وبين خطى عرض $16\frac{1}{2}$ ، $20\frac{1}{4}$ ، ندرك أن بطلميوس أورد تحت الفقرة المعنونة مواقع « أرض حضر موت » المواقع الساحلية « الجنوبية » من مملكة حضر موت ، ثم تلاها بمواقع « الساخاليتيين » وهى المواقع الداخلية (الشمالية) من المملكة وخصوصاً منها المناطق الداخلية المقابلة لخليج « الساخاليتيس » كما ورد عند « الطواف » وهى (أى المناطق الداخلية) ما أسماه بطلميوس هذه المرة باسم الساخاليتيس .

(*) هذا التحديد بخطوط الطول والعرض هو حسب رؤية بطلميوس الفلكى والجغرافى حسب معايير عصره طبعاً ، وليست خطوط الطول والعرض الحالية .

ولمزيد من تأكيد هذا الترجيح فإننا نجد أن ميناء « كانى » يقع عند بطلميوس على خط طول ٨٤ (على الساحل الحضرمى) فى حين يبدأ أول موقع من منطقة « الساخاليتيين » عند خط طول ٨٧ ١/٢ ، (لكن فى المنطقة الداخلية من حضر موت) وآخر مواقعها يقع على خط طول ٩٣ ٣/٤ (وهى منطقة طويلة وممتدة) ومعنى ذلك أن كلا من « الطواف » و « بطلميوس » قد جعلا منطقة « الساخاليتيس » تمتد من شرق ميناء « كانى » (حصن الغراب) حتى آخر حدود مملكة حضر موت فى الجزء المقابل لجزر زنوبيوس (كوريا موريا) التى تبدأ بعدها منطقة أجنبية تابعة للفرس . الفارق ببساطة هو أن « الطواف » أطلق مسمى « الساخاليتيس » على الجزء الساحلى من هذه المنطقة - بصفته تاجراً وملاحاً يتعامل مع الموانئ والمناطق الساحلية - ولذلك اسمى هذا الامتداد الكبير «خليج ساخاليتيس» ، أما بطلميوس فقد أطلق مسمى أرض « الساخاليتيس » على « المناطق الداخلية » لنفس هذا الامتداد السابق وهى المناطق المنتجة للبان فى مملكة حضر موت . والأصح - فى تقديرى - هو تحديد بطلميوس الجغرافى ، بمعنى أن المناطق الداخلية المنتجة للبان فى مملكة حضر موت حسب الامتداد الذى ذكره بطلميوس هى التى كانت تسمى فى الأصل « أرض الساخليتيس » ثم صارت المنطقة الساحلية المقابلة لها تسمى باسم المنطقة الداخلية ، أى « خليج الساخاليتيس » إجمالاً حتى وإن اكتسبت مناطق منه مسميات محلية كخليج عمان مثلاً .

هذا التفسير - خصوصاً لوصف بطلميوس الجغرافى - يفسر عبارة وردت فى الكتاب الأول لبطلميوس يقول فيها « إن مارينوس حدد خليج ساخاليتيس بأنه يقع على الساحل الغربى من رأس سياجروس ، ولكن كل من يبحرون فى هذه البقاع يجمعون معى أنه (يمتد) إلى الشرق من سياجروس وأن الساخاليتيس منطقة عربية ومنها اكتسب خليج ساخاليتيس اسمه(٢٠) . (الكتاب الأول - فقرة ١٧). اعتقد أنه فى ضوء الوصف الجغرافى التفصيلى لبطلميوس لمنطقتى « أرض حضر موت » Αδραμιτων χωρας ثم منطقة « الساخاليتيين » Σαχαλιτων (فى

الكتاب السادس - الجزء السابع - فقرتى ١٠ ، ١١) فإن بطلميوس يعنى فى فقرته السابقة أن خليج الساخاليتيس لا ينتهى شرقاً عند رأس سياجروس وبالتالى لا يقع غربها فقط ، بل يمتد كذلك إلى الشرق من هذه النقطة بإجماع من أبحروا فى تلك البقاع ، أى أنه لم يقصد القول أنه يقع إلى الشرق - فقط - من رأس سياجروس .

لكن ما تزال هناك مشكلة فى وصف بطلميوس للمنطقة الساحلية من «أرض حضر موت» وهى أنه جعل « سياجروس » (التى حدد معظم العلماء موقعها بـ « رأس فرتك ») نقطة النهاية للساحل الحضرمى ، فى حين رأينا فى «الطواف» أن آخر المواقع الهامة على هذا الساحل هى « موسخا » (خور رورى) . هل معنى هذا أن بطلميوس لم يذكر « موسخا » فى وصفه الجغرافى لحدود منطقة حضر موت الساحلية ؟ بلى أوردها وتحت اسم « ميناء موسخا » كما أورد قبلها « ثيالليلا » وهى صلالة الحالية فى ظفار قبل « خور رورى » أو موسخا القديمة . معنى هذا أن بطلميوس قد أخطأ فى تحديد موقع « سياجروس » وبدلاً من أن يجعلها قبل صلالة وموسخا جعلها تقع بعدهما . إذن فقد ذكر بطلميوس الجغرافى موانىء مملكة حضر موت على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية وهى كانى وسياجروس وموسخا ولكنه أخطأ - على الأرجح - فى تحديد موقع سياجروس .

ومن الأمور الطريفة التى ألقت مزيداً من الضوء على موقع ساخاليتيس وميناء « موسخا » (خور رورى) أن بعثة أمريكية تابعة للمؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان قامت فى أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٢ بحفائر فى موقع « خور رورى » وكان من بين اكتشافاتها من هذا الموقع ستة نقوش بالخط المسند تتحدث عن تأسيس مدينة أو ميناء فى منطقة « سكلان (الاسم العربى للإقليم الذى يكتب «ساخاليتيس» باليونانية كما رأينا عند الطواف وبطلميوس) .

هذه النقوش نشرتها جاكلين بيرين فى العدد الأول من « مجلة دراسات عمان » عام ١٩٧٥ (هامش رقم ٧٢) .

تتحدث هذه النقوش عن إقامة أو إنشاء مدينة تسمى « سمارام » (بمعنى «المبتغى السامى» من كلمتى سما يسمو ، ورام يرام(٢١) . أى يبتغى وينشد ، وقد وردت في خريطة في مقدمة كتاب الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصارى عن حفائر « الفاو » باسم « سامراء ») فى أرض «سكلان » بأوامر من الملك «العز يالوط» ملك حضر موت أصدرها إلى قائد الجيش الحضرمى ويدعى أبياتاع صالحين بن ذمر على ، وأشرف هذا الأخير على كل مراحل التنفيذ . وكتب هذه النقوش موظفون ملكيون أسندت إليهم مهام مثل تنظيم موقع المدينة الجديدة وإمدادها بالمياه (النقش الأول) وبالبناء والتشييد (النقش الثانى)، كما قام بعض المستوطين الجدد بكتابة نقوش أخرى مثل الرابع الذى كتبه جماعة من النساجين .

وهذه النقوش تكاد تسير على وتيرة واحدة إذ يذكر كاتب النقش اسمه (أو أسماءهم لو كانوا مجموعة) ، كما يذكرون مواطنهم الأصلية التى قدموا منها إلى هذا المكان الجديد . وقد أتى معظمهم - إن لم يكن كلهم - من العاصمة «شبوة» ورحلوا عنها بأوامر ملكية لتوطين المدينة الجديدة « سمارام » . ويذكر فى نقشين من هذه النقوش (النقشين الثالث والرابع)(٢٢) . أن المستوطنين الجدد كانوا ينتمون إلى أحد بطون قبيلة حاتم فى شبوة هو بطن عميس حيث يذكر فى النقشين حرفيا أنهم من أهل (عميس ثلث حاتم ويضمون ذلك الجزء الذى اختير للتهجير) .

وهناك بعض التعليقات العامة للربط بين محتويات هذه النقوش وما ورد عند « الطواف » و« بطلميوس » . أول هذه الملاحظات هو أن مدينة « سمارام » الجديدة التى أمر الملك الحضرمى « العزيالوط » - من القرن الأول ق. م. حسب تأريخ جاكلين بيرين لهذه النقوش من خلال خطوطها - تقع فى موقع (خور

رورى) أو موسخا التى وردت عند « الطواف » ، وورد اسمها عند بطلميوس رغم أنه لم يحدد موقعها بدقة كما رأينا أعلاه . إذن فإن « سمارام » هى نفسها «موسخا» (*الأولى التسمية العربية والثانية اليونانية القديمة*) ميناء تصدير اللبان لمنطقة « سكلان » (سا خاليتيس) المنتجة للبان . والملاحظة الثانية هو اسم الملك الحضرمى من القرن الأول ق. م. الذى أمر بإقامة المدينة وهو « العز يالوط » ومنه يتضح أن اسم « العز » كان اسماً مألوفاً فى العائلة الملكية الحضرمية حينذاك ، إذ نجد فى مؤلف « الطواف » - من حوالى منتصف القرن الأول الميلادى - أن *مملكة حضر موت وعاصمتها شبوة مقر إقامة الملك الحضرمى كانت تعرف بـ* «مملكة إليازوس» والتى تعنى بلا شك « مملكة العز » . والملاحظة الثالثة هو ان الموظفين الملكيين الذين أسندت إليهم بعض مهام تعمير وتخطيط المدينة الجديدة يصفون أنفسهم فى هذه النقوش (النقشين الأول والثانى) بأنهم « عبد العز يالوط ملك حضر موت » . هذه الإشارة فى النقوش تفسر ما سبق أن ذكر عند « الطواف » من أن القائمين على جمع لبان مناطق الساخاليتيس (السكلان) كانوا من العبيد الملكيين وممن أرسلوا لقضاء فترة عقوبة فى هذه المناطق (الفقرة ٢٩) . من خلال نقوش « سمارام » يبدو أن كل من كان يكلف بمهام من قبل الملك كان يعد من « عبيد الملك » كما رأينا أعلاه ، بمعنى أنهم ينفذون أوامر الملك تنفيذاًدقيقاً وصارماً أكثر من دلالتها على العبودية بمعناها الحرفى . أما الإشارة عند «الطواف» إلى أن بعضاً من جامعى لبان الساخاليتيس كانوا ممن يقضون فترة عقوبة هناك فربما ارتبطت من طرف خفى ببعض الإشارات الواردة فى بعض نقوش « سمارام » فمن المحتمل أن يكون مؤسسو هذه المدينة الجديدة قد هجروا قسرا من موطنهم الأصلى من بطن عميس فى قبيلة حاتم فى شبوة ، لا سيما أن هناك كلمات وردت فى ختام بعض هذه النقوش - بصورة منفردة منفصلة عن السياق - تعبر عن المعاناة مثل كلمة « أذيت » فى ختام النقش الثالث ، وكلمة «يشقى» فى النقش الثامن .

الهوامـش

(1) Herodotus, Historiae III, 97,,107-112.

(2) Theophrastus, Enquiry into Plants IX. 4.2.-6, 10.

(3) Strabo, Geography XVI.4.2-4.

(4) Diodorus Siculus, Historical Library III, 45; 47.2-3, 5-6.

(5) L. Casson, PME,27 :

ἐμπόριόν ἐστιν ἕτερον παραθαλάσσιον Κανή, Βασιλείας Ἐλεάζου, Χώρας Λιβανοτοφόρου....

πᾶς δ' ὁ γεννώμενος ἐν τῇ χώρᾳ λίβανος εἰς αὐτὴν ὥσπερ ἐκδοχεῖον εἰσάγεται καμήλοις τε καὶ σχεδίαις ἐντοπίαις δερματίναις ἐξ ἄσκων. καὶ πλοίοις.

(6) Ibid., 29 :

Μετὰ δὲ Κανή..... ἄλλος ἐκδέχεται βαθύτατος κόλπος, ἐπὶ πολὺ παρεκτείνων, ὁ λεγόμενος Σαχαλίτης, καὶ Χώρα Λιβανοτοφόρος.....

ἔστιν δὲ τὰ δένδρα τὰ λιβανοφόρα οὐ μεγάλα λίαν οὐδὲ ὑψηλά.....

Μεταχειρίζεται δὲ ὁ λίβανος ὑπὸ δούλων βασιλικῶν καὶ τῶν ὑπὸ τιμωρίαν πεμπομένων.

(7) Ibid., 30 :

Τούτου δ' ἐστὶν ἀκρωτήριον τοῦ κόλπου μέγιστον, ἀποβλέπον εἰς ἀνατολήν, ὁ καλούμενος Σύαγρος, ἐφ' οὗ φρούριόν ἐστι τῆς χώρας καὶ λιμὴν καὶ ἀποθήκη τοῦ συναγομένου λιβάνου.

(8) Ibid., 32 :

.....καὶ μετ' αὐτοὺς ὅρμος ἀποδεδειγμένος τοῦ Σαχαλίτου λιβάνου πρὸς ἐμβολήν, Μόσχα λιμὴν λεγόμενος....

παρὰ τῶν βασιλικῶν πρὸς ὀθόνιον καὶ σῖτον καὶ ἔλαιον λίβανον ἀντιφορτίζουσιν παρ' ὅλον δὲ τὸν Σαχαλίτην.

(9) Pliny the Elder, NH 12. 30. 51 - 52 :

Tura praeter Arabia nullis, ac ne Arabiae quidem universae. in medio eius fere sunt Astramitae, pagus Sabaeorum, capite regni Sabota in monte excelso, a quo octo mansionibus distat regio eorum turifera Sariba appellata - hoc significare Graeci mysterium dicunt .

(10) Ibid., 12. 30. 54 :

Nec praeterea Arabum alii turis arborem viderunt, ac ne horum quidem omnes, feruntque III non amplius esse familiarum quae ius per successiones id sibi vindicent, sacros vocari ob id, nec ullo congressu feminarum funerumque, cum indicant eas arbores ut metant, pollui, alque ita religione merces augeri.

(11) Ibid., 12. 32. 63 :

Tus collectum Sabotam camelis convehitur, porta ad id una patente; degredi via capital reges facere. ibi decumas deo quem vocant Sabin mensura, non pondere, sacardotescapiunt, nec ante mercari licet :

(12) Gus W. Van Beek, Art. Cit., p. 142 and note 9.

(13) L. Casson, PME, 27 :

Τρουλλάς, ἀπὸ σταδίων ἑκατὸν εἴκοσι τῆς Κανῆς, ὑπέρκειται δὲ αὐτῆς μεσόγειος ἡ μητρόπολις Σαυβαθά, ἐν ᾗ καὶ ὁ βασιλεὺς κατοικεῖ. πᾶς δ' ὁ γεννώμενος ἐν τῇ χώρᾳ λίβανος εἰς αὐτὴν ὥσπερ ἐκδοχεῖον εἰσάγεται. . . . .

انظر كذلك هامش رقم ٥٩ أعلاه .

(١٤) إن ما ورد فى فقرات بلينى المقتبسة - وخاصة حول اهتمام ملوك حضر موت بضرورة نقل محصول اللبان كله إلى شبوة أولاً واعتبار عدم الامتثال لهذه الأوامر الملكية فى هذا الصدد جريمة كبرى - يشير بوضوح إلى احتكار ملكى للسلعة . كما أن ما ورد عند الطواف عن العبيد الملكيين والمسجونين الذين يقومون بجمع المحصول من غابات اللبان فى إقليم خليج « ساخاليتيس » ، وكذلك تعامل التجار مع « الوكلاء الملكيين » وحصولهم على اللبان منهم مقابل سلعهم يشير بوضوح إلى هذا الاحتكار الملكى للبان .

(15) L. Casson, PME.33 :

(15) L. Casson, PME.33 :

<Ἀπὸ δὲ Μόσχα> λιμένος ἐπ' ἄλλους σταδίους ὡς χιλίους πεντακοσίους ἐως Ἀσίχωνος ἄχρι <ὄρος> τῇ γῇ παρατείνει καὶ κατὰ τὸ ἀπολιπον αὐτοῦ μέρος ἑπτὰ νῆσοι πρόκεινται κατὰ τὸ ἑξῆς, αἱ Ζηνοβίου λεγόμεναι, μεθ'ἃς ἄλλη παράκειται χώρα βάρβαρος οὐκέτι τῆς αὐτῆς βασιλείας ἀλλ, ἤδη τῆς Περσίδος.

(16) Ibid., note on 29 : 9. 22-23, pp. 165 - 66.

(17) Ibid., Van Beek, Art. Cit., p. 142 and note 10.

(18) Jacqueline Pirenne, « The Incense Port of Moscha (Khor Rori) in Dhofar », Journal of Oman Studies, vol., 1, 1975, pp. 81 - 96, p. 95.

(19) Claudius Ptolemaeus(ptolemy); Geography, 6. 7. 10 :

Ἀδραμιτῶν Χώρας

Ἤβισμα πόλις	πβ	ιᾱ	⁄	δ

ساكتفى بذكر أهم الموانى التى تعنينا على هذا الساحل ومواقعها ولن أذكر كل المواقع التى أوردها بطلميوس :

Κάνη ἐμπόριον καὶ ἄκρον	πδ	ιβ	⁄
Θιάλληλα κώμη	πζ	ιδ	
Μόσχα λιμήν	πη	ιδ	⁄
Σύαγρος ἄκρα	g	ιδ	

ثم الفقرة التالية مباشرة عند بطلميوس (6. 7. 11) والخاصة بمواقع « الساخاليتين »

Σαχαλιτῶν

Μέτακον κώμη	πη	ιε	⁄	
Λύσαρα πόλις	πζ	γ	ιε	⁄ δ
Ἄγγη κώμη	πζ	⁄	ις	⁄

ثم ترد بعد ذلك مواقع عديدة سأذكر آخرها وهو :

Κοροδαβον	g	γ	κ	δ

(20) J. Pirenne, loc, cit.

(21) Ibid., p. 82.

(22) Ibid., pp. 85 - 87.